يقال: « المرأة تكمّل الرجل »، « الحاجة إلى الآخر من سنن الحياة »، « العائلة هدف التقاء المرأة بالرجل »... أمثلة نسمعها كل يوم وفي معرض أي نقاش وخصوصاً عند أي حدث يرغمنا على البحث عن وسائل جديدة للتواصل مع الشريك. لكن إذا ما تمعنا جيداً في هذه العبارات نجدها تتمحور حول أمر واحد ألا وهو « المشاركة »، كلمةُ السر وأساس التلاقي والالتقاء. قد تتسم المشاركة في عصرنا الحالي بوجه مادي في معظم الأحيان، إذ نجد المشاركة بين الرجل والمرأة تتمثل بفتح حساب مصرفي مشترك أو اختيار منزل المستقبل.. وفي هذه الحال تكون المشاركة مجرد درس في علم الاقتصاد ونظرة فنية في علم الهندسة.

نجيب زيتوني
www.esoteric-lebanon.org

عدم التمكن من الوصول الى حلول ترضي الطرفين يفاقم الكبت والمشاكل عند الشريك الآخر

المشاركة أساس الحب الواعي

لكن لو كانت المشاركة الحقّة هي مشاركة مادية لكانت الأكثرية الساحقة من البشر تنعم بحياة عاطفية عائلية ومهنية مثالية تنتفي فيها شتى أنواع المشاكل بين الشريكين. وهذا نقيض لما نعيشه على أرض الواقع... فهل للمشاركة معانٍ أعمق مما هو ظاهر ومبان؟

للإجابة عن هذا التساؤل، لا بد من العودة إلى علوم إنسانية الإنسان – علوم الإيزوتيريك، إذ أنها تدرس كل ما يتعلق بالإنسان من محور أساس هو الإنسان نفسه. فهذه العلوم المعرفية التطبيقية بامتياز توضحها في كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الإيزوتيريك» أن علاقة المرأة بالرجل هي «علاقة نقصان يبحث عن كماله»... وانطلاقاً من هذه العلاقة – المعادلة، ينبغي على المرء البحث عن النقصان الذي في داخله كفرد. بذلك يكون قد سلّط الضوء على سلبياته قبل إيجابياته، فيسعى إلى اكتساب الصفات الإيجابية التي تنقصه والتي يكملها الشريك – الحبيب.

الانجذاب الفطري

وهذا ما يفسر أيضاً الحقيقة الخافية وراء الانجذاب الفطري أو اللاواعي بين المرأة والرجل، ويوضح «الموزاييك» التكامل الذي يحدث بينهما. إذ إنّ الرجل بوجه عام يتميز بإرادة وحزم وجرأة في اتخاذ القرارات، وهذه الصفات قد تنتهي الى جفاف في الفكر وقسوة في المعاملة ما لم تُطعّم بميزات المرأة من مشاعر دافئة وشفافية ومحبة متفتّحة. والعكس صحيح، إذ إنّ كل ما تتميز به المرأة من مشاعر حساسة مرهفة قد يؤول إلى ضعف وهَوَان وفوضى ما لم يلتق بفكر متّقد وإرادة فاعلة. فالرجل ينجذب إلى رقّة المرأة ولو لاشعورياً، ثم ما يلبث أن يكتسب هذه الصفة رويداً رويداً من خلال مشاركتها في تفاصيل الحياة اليومية، فتنعكس في تعاطيه مع الآخرين. والعكس صحيح في حالة المرأة أيضاً.

من ناحية أخرى، لنعتبر الشريكين بعيدين عن أهمية البحث والانفتاح عما ينقص أحدهما في الآخر، فكيف ستكون هذه العلاقة؟

لعلّ المثال التالي يعكس الصورة الواقعية حين يغيب هدف العلاقة. لنعتبر أنّ أحد الشريكين يتمتع بسلبية التفرد بالرأي أو العناد، ولنعتبر أيضاً أنّ الشريك الآخر لا يعير الاهتمام لاحتواء هذه السلبية، أي مساعدة الشريك للتخلص منها. فالذي قد يحدث هو غياب الحوار الواعي بينهما، وعدم الاستماع إلى رأي الآخر (والذي قد يتضمن حلاً لمشكلة ما). لذا فإنّ عدم التمكن من الوصول إلى حلول ترضي الطرفين، يفاقم الكبت والمشاكل عند الشريك الآخر، فتنعدم بالتالي كل أسس المشاركة الفعلية بين الشريكين.

تناغم وتوازن

من هنا يتضح مفهوم المشاركة، لا بل يعود ليأخذ مكانته الحقيقية. فالرجل والمرأة هما ثنائية من ثنائيات الحياة مهمتها التناغم فيما بينهما لتحقيق توازن شفاف نحو وعي جديد توازن يرتكز على المشاركة الفكرية والمشاعرية إلى جانب المشاركة المادية.

إن ما ينبغي أن يبحث عنه المرء هو ما ينقصه من صفات داخلية باطنية. ولعلّ معظم المشاكل التي يواجهها الشريكان من ألم وصراع وتناحر وتباعد يجسّد فشل المرء في فهم نفسه وتصرفاته الخاطئة والنقصان الكامن فيه، والأهم الاعتراف بهذا النقصان كي يسعى بصدق إلى تعبئته بمساعدة الشريك-الحبيب.

تلك هي المشاركة الحقة، مشاركة إنسان لإنسان في مكوناته على طريق التكامل. فعندما يبدأ المرء بتطبيق هذه المشاركة عملياً في الحياة اليومية يتحقق التناغم والانسجام مع الشريك، فتصبح حينها المساواة من بديهيات الأمور بينهما ويغدو الحب واعياً راسخاً وعميقاً... ويرنو الفكر منفتحاً توّاقاً للتكامل مع الآخر نحو الهدف المشترك.